

تفسير سورة الدخان

وهي مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿٢﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم: انه انزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في «سورة البقرة» بما أضنى عن إعادته. ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روى عن عكرمة - فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان. وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: معلمين الناس ما يتفهمهم ويضرمهم شرعاً، لنقوم حجة الله على عباده.

وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الأجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر، ومجاهد، وغير واحد من السلف. وقوله: ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: محكم، لا يبدل ولا يغير؛ ولهذا قال: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي: إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبینات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه؛ ولهذا قال: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتم متحققين.

ثم قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾، وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الآية [الاعراف: ١٥٨].

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعُبُونَ﴾ فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ أَتَى هُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ ثُمَّ نُؤَلُّوا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلَهُمْ نُونٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون، أي: قد جاءهم اليقين، وهم يشكون فيه ويمترون، ولا يصدقون به، ثم قال متوعدا لهم ومهدداً: ﴿فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾. عن سروق

قال: دخلنا المسجد - يعني مسجد الكوفة - عند أبواب كنده، فإذا رجل يقص على أصحابه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام. قال: فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له، وكان مضطجماً ففزع فقمعد، وقال: إن الله عز وجل قال لنيبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: «الله أعلم»، سألناهم عن ذلك، إن قريشا لما أبطت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان - وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد - قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. فاستسقى لهم فسقوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ قال ابن مسعود: فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْظِمُونَ﴾، قال: يعني يوم بدر. قال ابن مسعود: فقد مضى خمسة: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين. ورواه الإمام أحمد و الترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم^(١). وقد وافق ابن مسعود على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف كمجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير.

وقال آخرون: لم يمض الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة، كما في حديث أبي حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نذاكر الساعة، فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والذباب، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو: تحشر الناس - تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا». تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه^(٢). وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لابن الصياد: «إني خبات لك خبأ»، قال: هو الدخ. فقال له: «أخسا فلن تعدو قدرك». قال: وخبأ له رسول الله ﷺ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٣). وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يُقرطمون العبارة؛ ولهذا قال: «هو الدخ»، يعني: الدخان. فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية، فقال له: «أخسا فلن تعدو قدرك». وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس، ذات يوم فقال: ما تمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرقت، فما تمت حتى أصبحت. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن.

(١) السنن (٣٦١٣) والبخارى (٤٨٢٠) ومسلم (٣٩/٢٧٩٨) والترمذي (٣٢٥٤) وابن جرير في التفسير (٦٦/٢٥).

(٢) البخارى (٣٠٥٥) ومسلم (٩٥/٢٩٣٠).

(٣) مسلم (٣٩/٢٩٠١).

قال الله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أى : بين واضح يراه كل أحد . وعلى ما فسره ابن مسعود : إنما هو خيال راوه فى أعينهم من شدة الجوع والجهد . وهكذا قوله : ﴿ يَخْشَى النَّاسَ ﴾ أى : يتفشاهم ويحسبهم ، ولو كان أمرا خياليا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه : ﴿ يَخْشَى النَّاسَ ﴾ . وقوله : ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى : يقال لهم ذلك تقريبا وتوبيخا ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعْوًا . هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴾ [الطور : ١٣ ، ١٤] ، أو يقول بعضهم لبعض ذلك .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ أى : يقول الكافرون إذا عابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم ، كقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ دُفِعُوا عَلَى النَّارِ لَقَالُوا يَا لَيْتَا نُرَدُّ وَلَا نُكذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الانعام : ٢٧] . وكذا قوله : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَضِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] . وهكذا قال هاهنا : ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا يَدْعُونَا إِلَى أَنْفُسِنَا . كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَلِمَاتِنَا وَالْحَقَّ أَنَّ اللَّهَ يَوْمَئِذٍ وَكَّالٌ ﴾ [الأنعام : ٢٥] . وهذا كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى . يَقُولُ يَا لَيْتَى قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفرج : ٢٣ ، ٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُرِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَادُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ [سبا : ٥١ - ٥٤] .

وقوله : ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ يحتمل معنيين :

أحدهما : أنه يقول تعالى : ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا ، لعُدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله : ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ بِمَثُورٍ ﴾ [المؤمنون : ٧٥] ، وكقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُمَا لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الانعام : ٢٨] .

والثانى : أن يكون المراد : إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد سببه ووصوله إليكم ، وأنتم مستمررون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون بأشهرهم ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِيَابَهُمْ فِي الْبَطْنِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُرُوجًا ﴾ [يونس : ٩٨] ، ولم يكن العذاب بأشهرهم واتصل بهم ، بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضا أن يكونوا قد اقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه ، قال الله تعالى [خيارا] عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا : ﴿ فَخَرِّجْنَا يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَصُدَّنَّ فِي مَلِئْنَا قَالُوا لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ . قَدْ أَرَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ٨٨ ، ٨٩] ، وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم . وقال قتادة : ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ : إلى عذاب الله .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبِّطُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْظِمُونَ ﴾ : فسره ذلك ابن مسعود بيوم بدر . وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم ، وروى أيضا عن ابن عباس من رواية العوفى عنه وعن ابن بن كعب وجماعة ، وهو محتمل . والظاهر أن ذلك يوم القيامة ، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضا . وروى ابن جرير عن عكرمة قال : قال ابن عباس : قال ابن مسعود : البطشة الكبرى : يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة (١) . وهذا إسناد صحيح عنه ، وبه يقول الحسن البصرى ، وعكرمة فى أصح الروايتين عنه .

(١) ابن جرير فى التفسير (٧٠ / ٢٥) .

﴿ وَلَقَدْ مَتَنَّا قِبَلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدْوَأَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِيَّانِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِيَّانِي مَا يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِي وَأَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآمِنُوا بِوَعْدِي وَلَا تُنْفِرُوا مِنْ عِندِي قَوْمٌ مَجْرُمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ لِيَلَا إِيَّاكُمْ مَتَابِعٌ ﴿٢٠﴾ وَأَتْرَكْنَا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ ﴿٢١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّبَتْ بِآيَاتِنَا قَوْمَ يُدَّعَىٰ مِنْ جَانِبِي وَعِشْوَىٰ ﴿٢٢﴾ وَزُورُوا مَقَامِي كَرِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَتَمَعُوا كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٧﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُتْرَفِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ آخَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهَا بَلَاءٌ مَبِينٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

يقول تعالى: ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وهم قبط مصر ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ يعنى: موسى كليمه، عليه السلام ﴿أن أدؤأ إلى عباد الله﴾، كقوله: ﴿فأرسل (١) معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من أتبع الهدى﴾ [طه: ٤٧]. وقوله: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أى: مأمون على ما أبلغكموه. وقوله: ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ أى: لا تستكبروا على اتباع آياته، والالتقاد لحججه والإيمان ببرايمته، كقوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [خافر: ٦٠]. ﴿إني آتيتكم سلطان مبين﴾ أى: بحجة ظاهرة واضحة، وهى ما أرسله الله به من الآيات البيّنات والأدلة القاطعة .

﴿وإني عذبت بربي وربكم أن ترجون﴾ قال ابن عباس: هو الرجم باللسان وهو الشتم. وقال قتادة: الرجم بالحجارة . أى: أعوذ بالله الذى خلقنى وخلقتكم من أن تصلوا إلى بسوء من قول أو فعل. ﴿وإن لم تؤمنوا لى فاعتلون﴾ أى: فلا تتعرضوا لى، ودعوا الأمر بينى وبينكم مسألة إلى أن يقضى الله بيننا. فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك وما رادهم ذلك إلا كفراً وعناداً، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. قال قد أجيبت دعوتكما فاستطعما﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]. وهكذا قال هاهنا: ﴿فدعأ ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بينى إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه؛ ولهذا قال: ﴿فأسر بعبادى لئلا أنتم متبحرون﴾، كما قال: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يساً لآ تخاف دركاً ولا تخشى﴾ [طه: ٧٧].

وقوله هاهنا: ﴿واترك البحر رهوا﴾ أى: جند مفرقون. وذلك أن موسى، عليه السلام، لما جاوز هو وبينى إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم. فأمره الله أن يتركه على حاله ساكناً، وبشره بأنهم جند مفرقون فيه، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى. قال ابن عباس: ﴿واترك البحر رهوا﴾ كهيته وامضه. وقال مجاهد: ﴿وهوا﴾: طريقاً يساً

كهيته، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يرجع آخرهم. وكذا قال عكرمة، وقتادة، وغير واحد .

ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ وهى البساتين ﴿وَعُيُونٍ وَوُدُوعٍ﴾ والمراد بها الأنهار والآبار، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ وهى المساكن الكريمة الأنيقة والاماكن الحسنة . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: المناير. وقال عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَوُدُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ ، قال: كانت الجنان بحاقتى هذا النيل من اوله الى آخره فى الشقين جميعاً ، ما بين أسوان إلى رشيد، وكان له تسعة خلج: خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعاً، لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها. ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ أى: عيشة كانوا يتفكحون فيها فيأكلون ما شاؤوا ويلبسون ما أحبوا مع الاموال والجاهات والحكم فى البلاد، فسلموا ذلك جميعه فى صحبة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وشن المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] وقال فى الآية الأخرى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا رَبِّمُكَ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَعَرْنَا مَا كَانَ يصنعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَمْرُسُونَ﴾ [الاعراف: ١٣٧]. وقال ماهنا: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ وهم بنو إسرائيل، كما تقدم.

وقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أى: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد فى أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم فى الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم؛ فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعثوم وعنادهم. وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث انقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره لإيهم فى الاعمال المهينة الشاقة.

وقوله: ﴿مَنْ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ أى: مستكبراً جباراً عبيداً، كقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، وقوله: ﴿مَنْ الْمُسْرِيُّنَ﴾ أى: مسرف فى أمره، سخيى الراى على نفسه .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ قال مجاهد: ﴿اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾: على من هم بين ظهريه. وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك. وكان يقال: إن لكل زمان عالماً. وهذه كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الاعراف: ١٤٤] أى: أهل زمانه، وكقوله لمريم: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] أى: فى زمانها؛ فإن خديجة أفضل منها، وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، أو مساوية لها فى الفضل، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَيَّاتِ﴾ أى: الحجج والبراهين وخوارق العادات ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ أى: اختبار ظاهر جلى لمن اهتدى به.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَا وَدَّعْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ ﴿فَأَتُوا بِآيَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِّعُوا مِنْ قِبَلِهِمْ أَهْلَكْتُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا يَجْرِمُونَ﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين فى إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا

حياة بَعْدَ الممات، ولا بعث ولا نشور. ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقاً ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقاً جديداً، ويجعل الظالمين لئار جهنم وقوداً، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً.

ثم قال تعالى متهدداً لهم ، وسترعداً ومنرداً لهم بأسه الذى لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث وكقوم تبع - وهم سبأ - حيث أهلكهم الله وخرَّب بلادهم، وشردهم فى البلاد، وفرقهم شذر منذر ، كما تقدم ذلك فى سورة سبأ ، وهى مُصَدَّرَةٌ بإنكار المشركين للمعاد . وكذلك هاهنا شبههم بأولئك ، وقد كانوا عربياً من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان ، وقد كانت حمير - وهم سبأ - كلما ملك فيهم رجل سموه تَبَعاً، كما يقال : كسرى لمن ملك الفرس ، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، وغير ذلك من أعلام الأجناس . ولكن اتفق أن بعض تبايعتهم خرج من اليمن وسار فى البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه، واتسمت مملكته ببلادها ، وكثرت رعاياه وهو الذى مَصَّرَ الحيرة فاتفق أنه مرَّ بالمدينة النبوية وذلك فى أيام الجاهلية ، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقتلوه بالنهار ، وجعلوا يَفْرُونَهُ بالليل، فاستحيا منهم وكف عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة؛ فإنها مهاجِرٌ نبي يكون فى آخر الزمان، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن ، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك أيضاً، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناتة إبراهيم الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم على يدى ذلك النبي المبعوث فى آخر الزمان، فعظمها وطاقف بها ، وكساه الملاء والوصائل والحِجْر . ثم كر راجعاً إلى اليمن ودعا أهلها إلى اليهود معه، وكان إذ ذاك دين موسى، عليه السلام، فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح، عليه السلام، فتهود معه عامة أهل اليمن . وكأنه - والله أعلم - كان كافراً ثم أسلم، وتابح دين الخليل على يدى من كان من أحبار اليهود فى ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح، عليه السلام، وحج البيت فى زمن الجُرهميين، وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلى اليمن .

وتَبِعَ هذا هو تَبِعَ الأوسط، واسمه أسعد أبو كَرِيب بن مَلِكِيكرب اليماني، ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة، ولم يكن فى حمير أطول مدة منه، وتوفى قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة عام .

وذكر ابن أبى الدنيا أنه حَفِرَ قبر بصنماء فى الإسلام، فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين، وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب: «هذا قبر حبي وليس - وروى: حبي ومناضر - ابنتي تَبِعَ، ماتتا وهما شهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئاً، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما. قال قتادة: ذكر لنا أن كعباً كان يقول فى تبع: نُعِتَ نَعْتُ الرجل الصالح، ذم الله تعالى قومه ولم يذمه، قال: وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تَبِعاً؛ فإنه قد كان رجلاً صالحاً .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ كَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤١﴾

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللبث والعبث والباطل، كقرله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ﴾ وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين وقوله: ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أى: يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ أى: لا ينفع قريب قريباً، كقوله: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُصْرُونَهُمْ﴾ [المارج: ١٠، ١١] أى: لا يسأل أخاه عن حاله وهو يراه عياناً، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أى: لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من خارج.

ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ﴾ أى: لا ينفع يومئذ إلا من رحمه الله، عز وجل، خلقه ﴿إِنَّهُ قَوُّ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أى: هو عزيز ذو رحمة واسعة.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿٤٢﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٣﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٤﴾ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى مخبراً عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقاءه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ . طَعَامُ الْأَيْمِ﴾ والأيمن: أى فى قوله وفعله، وهو الكافر. وذكر غير واحد أنه أبو جهل، ولا شك فى دخوله فى هذه الآية، ولكن ليست خاصة به. روى ابن جرير عن همام بن الحارث؛ أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ . طَعَامُ الْأَيْمِ﴾، فقال: طعام اليتيم. فقال أبو الدرداء: قل: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر. أى: ليس له طعام غيرها.

وقوله: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قالوا: كمكر الزيت ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ أى: من حرارتها ورداءتها. وقوله: ﴿خُذُوهُ﴾ أى: الكافر، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية: ﴿خُذُوهُ﴾ ابتدره سبعون ألفاً منهم ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ أى: سوقوه سحياً ودفعوا فى ظهره. قال مجاهد: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ﴾ أى: خذوه فادفعوه. ﴿إِلَى سَوَاءِ الْحَمِيمِ﴾ أى: وسطها، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾، كقوله: ﴿يُصَّبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]. وقد تقدم أن الملك يضربه بمقعدة من حديد، تفتح دماغه، ثم يصب الحميم على رأسه فينزل فى بدنه، فيسلت ما فى بطنه من أمعائه، حتى تترقى من كعبيه - أعادنا الله تعالى من ذلك.

وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أى: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ. وقال الضحاك، عن ابن عباس: أى لست بعزيز ولا كريم.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾، كقوله: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً . هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ أَلَسِبَحَرًا هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ [الطور: ١٣ - ١٥]، ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَوَدَّعْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ ثَمَرٍ مَّا أُوتُوا بِرِزْقِهِمْ وَمِنْ حَتَّىٰ لَبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٦﴾ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ الْفُورُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِإِسْنَادِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْزَقْنَا مِنْهُمْ مُرْتَبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء - ولهذا سُمِّي القرآن مثاني - فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : الله في الدنيا ﴿ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ أي : في الآخرة وهو الجنة، قد آمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيد، وماتر الآفات والمصائب ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ . وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم، وشرب الحميم .

وقوله تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ ﴾ وهو : رفيع الحرير، كالقصمان ونحوها، ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو ما فيه بريق ولعان وذلك كالرياش، وما يلبس على أعالي القماش، ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ أي : على السرر، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره .

وقوله : ﴿ كَذَلِكَ وَوَدَّعْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي : هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي ﴿ تَمْ يَطْفِئُنَّ إِسْنًا لِقَبْهِنَّ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٥٦ ، ٧٤] ، ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٥٨] ، ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وقوله : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ أي : مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر إليهم كلما أرادوا .

وقوله : ﴿ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ معناه : أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال : يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت» وقد تقدم الحديث في سورة مريم (١) . وعن أبي سعيد وأبي هريرة، قالوا : قال رسول الله : «يقال لأهل الجنة : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تمشوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً» . رواه مسلم (٢) . وروى أبو بكر البزار عن جابر قال : قيل : يا رسول الله، هل ينام أهل الجنة؟ قال : «لا، النوم أخو الموت» (٣) .

وقوله : ﴿ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ أي : مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وسلمهم ومحاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ومحاهم من المهوب؛ ولهذا قال : ﴿ فَضَلَّ مَنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ ﴾ أي : إنما كان هذا بفضلهم وإحسانه إليهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «اعملوا وسلدوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة» . قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «ولا أنا، إلا أن يتخملني الله برحمته منه وفضل» (٤) .

(١) سبق تخريجه عند الآية (٣٩) .

(٢) كشف الاستار (٣٥١٧) ، وقال الهيثمي في الزوائد (٤١٨/١٠) : «رجال البزار رجال الصحيح» .

(٣) البخاري (٦٤٦٧) .

(٤) مسلم (٢٢/٢٨٣٧) .

وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسِرْتَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أى : إنما يسرنا هذا القرآن الذى أنزلناه سهلاً واضحاً
 ييناً جليلاً بلسانك الذى هو أفصح اللغات واجلاها واحلاها واعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أى: يتفهمون
 ويعملون .

ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله
 مسلماً له وواعداً له بالنصر ، ومتوعداً لمن كذبه بالمعطب والهلاك: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ أى: انتظر ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾
 أى : فسيعلمون لمن يكون النصر والظفر وعلو الكلمة فى الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد وإخوانك
 من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِذْ لَقِيَ اللَّهُ قَوْمِي
 غَزِيماً ﴾ [الجمادى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
 الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [حافر: ٥١، ٥٢] .